



في السادس من فبراير ١٩٦٢ ، توفي البطل المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي في بيته بالقاهرة ، دون أن يرى بلاده منذ أن غادرها في سبتمبر ١٩٢٦ ، اثر انتكاسة الثورة الريفية امام الجيوش الاسبانية والفرنسية بمؤازرة وتزكية النظام الاقطاعي الذي دخل في تحالف مع القوات الاستعمارية من اجل اسقاط التجربة الثورية في شمال المغرب .

وقد رفض البطل المغربي أيام حياته ، الانتقال الى وطنه اثر الاستقلال الصوري ، كما رفض في وصيته نقل جثمانه ليدفن في المغرب ، الا بعد تحرير صحرائه الغربية وكل من سبتة ومليلة والجزر الجعفرية في الشمال ، وجلاء آخر جندي اجنبي على ارض الوطن ، معتبرا النظام القائم امتدادا للاستعمار وعميلا للاستعمار الجديد .

واذ نحى ذكرى وفاته الرابعة عشرة لا يسعنا الا ان نذكر ببعض المبادئ والاسس التي رسمت خطا واضحا في حياته النضالية ، وظلت ممارسته ضمن هذا الخط السياسي الواضح ، دون ان تنال منه الاحداث ، وسنوات المنفى والغربة ، انطلاقا من نكران الذات ، على حساب تثبيت المبادئ والاهداف التي ناضل من اجلها .

خيانة النظام واندلاع الثورة الريفية

امام تخاذل النظام الاقطاعي ، بتوقيعه عهد الحماية سنة ١٩١٢ ، الذي يقضي بتقسيم البلاد بين الاستعمارين الفرنسي والاسباني . نظمت الجماهير مقاومات شعبية ضد قوات الغزو كان اشدها ضراوة مقاومة الريف بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، ومقاومة الاطلس المتوسط بقيادة موحا اوحمو الزباني ، ومقاومة الجنوب بقيادة الشيخ ماء العينين . كل هذه الثورات ربطت في نضالها التحرري الاستعمار بالنظام الاقطاعي .

وقد استطاعت ثورة الريف الصمود امام القوات الغازية ، وتجاوز صيتها الحدود الوطنية ، وكانت مواكبة للثورة الروسية ، وهي تعتبر اول ثورة شعبية في البلدان المستعمرة اثر آلد الاستعماري الكاسح عقب انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الاولى .

ولقد استفاد البطل الخطابي من انتصاره في معركة انوال التي ألهمته تجنيد الشعب وتعبئته باعتباره أداة الحقيقية للتحرير ، وذلك بفتح آفاق الوعي والتطور امامه ، والقضاء على التركيب القبلي والعشائري بوضع مؤسسات ديمقراطية تخدم مصالح الجماهير وفي هذا الاطار اعلن عن تأسيس حكومة وطنية سهرت على ارساء :

- مجلسا للنواب .
- دستورا وضعته الجمعية العمومية .
- نظاما ديمقراطيا للضرائب .
- توزيع الارض لمن يخدمها .

ولقد ادرك قائد الثورة الريفية منذ البداية ، ان النظام الاقطاعي والاستعمار لا يمكن فصل النضال ضدهما ، فاعتبر النظام القائم تغطية وتمم حقيقي للاستعمار ، ومن هذا المنطلق جاء الاعلان عن تأسيس الجمهورية ، بواسطة النضال الشعبي ، كنظام ينطلق من الريف ليعم كافة الوطن . ولم تكن لديه نوايا انفصالية ، حيث كان باستمرار ينسق مع العناصر الوطنية في الجنوب ، ومع الحركة الوطنية في الجزائر ، لايجاد صيغ العمل المشترك ضد الاستعمار وعملائه . وقد تجلى هذا الافق الوحدوي في الميثاق القومي الذي وضعته الثورة الريفية ، والذي يعتبر المثل الاعلى ودليلا يقود الجماهير في نضالها ، اذ ينص احد بنوده على « عدم الاعتراف باية معاهدة لها مساس بحقوق البلاد المغربية وبخاصة معاهدة ١٩١٢ » .

توحيد المغرب العربي

في سنة ١٩٤٧ التجأ البطل الخطابي الى مصر بعد ان قضى احدى وعشرين سنة في جزيرة « لاريونيون » ومن مصر عمل على تجميع القوى

لتوحيد الكفاح المشترك بين كافة التنظيمات السياسية المتواجدة في اقطار المغرب العربي . وتكللت جهوده بانشاء « لجنة تحرير المغرب العربي » التي كان يترأسها والمنبثقة عن مؤتمر حضره جميع ممثلي الاحزاب من المغرب والجزائر وتونس . وصدر عن المؤتمر ميثاقا يتضمن اهداف للجنة من ضمنها :

« ضرورة وقوف اقطار المغرب العربي جبهة واحدة عند حدوث الازمات في اي قطر » .

« العمل على توحيد المنظمات العمالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في اقطار المغرب وتوجيهها توجيهها قوميا » .

وبعد انتهاء المؤتمر اصدر البطل عبد الكريم الخطابي بيانا سياسيا باسم لجنة تحرير المغرب العربي يؤكد فيه على ضرورة النضال المشترك ضد الاستعمار وعلى صعيد المنطقة ككل ومن ضمن ما ورد فيه :

« الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة اقطاره الثلاثة « تونس - المغرب - الجزائر » .

- « لا مفاوضات مع الاستعمار في الجزئيات ضمن النظام الحالي » .

« حصول قطر من الاقطار الثلاثة على استقلاله التام ، لا يسقط على اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير الشعبين » .

وهكذا يتضح جليا من خلال مواقفه وممارسته تشبته بالخط الوحدوي ضمن النضال المشترك للشعوب ضد الاستعمار ، ولقد كانت مواقفه واضحة وصريحة عندما بدأ الاستعمار الفرنسي في فتح مفاوضات مع كل من تونس والمغرب ، حيث اعتبرها تخاذل عن تنميم التحرير فاستنكر وادان الاتفاقية التونسية ، ومحادثات « آيفيان » ، ومفاوضات « اكس ليبان » التي علق عليها بقوله « لن يتمخض عنها الا منح استقلال صوري لمغرب » .

لهذا كان يعتبر باستمرار ان المغرب لا يزال تحت قبضة الاستعمار ما دامت اجزاء التراب الوطني قيد الاحتلال ، وما دامت هناك قواعد اجنبية على الجزء المستقل سوريا ، ومن هنا جاء تصنيفه للنظام في المغرب بانه عميل ، وخادم مطيع للاستعمار الجديد ، ومن هنا ايضا رفضه للعودة لارض الوطن .

وكان موقفه من الدستور الذي طرح للاستفتاء الشعبي سنة ١٩٦٢ ، حيث اعتبره تزييف للارادة الشعبية ووسيلة الغرض فرض مشروعية النظام على الجماهير .

نعتذر من جديد لقراء واصدقاء « الاختيار الثوري » عن هذا التأخير الناجم عن ظروف الطبع الخارجة عن ارادتنا ، ونتمنى ان تتحسن هذه الظروف في اقرب الآجال .